AL-AZHAR UNIVERSITY
BULLETIN OF THE FACULTY
OF
LANGUAGES & TRANSLATION

جامعة الأزهر
مجلة كلية اللغات والترجمة

الترجمة من الألمانية إلى العربية كجسر لنقل الثقافة

أ.د/ سيد أحمد فتح الله أبو زيد

قسم اللغة الألمانية وآدابها، كلية اللغات والترجمة- جامعة الأزهر- القاهرة.

الترجمة من الألمانية إلى العربية كجسر لنقل الثقافة

سيد أحمد فتح الله أبو زيد

قسم اللغة الألمانية، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة ، مصر.

البريد الإلكتروني:sayedfathalla@azhar.edu.eg

ملخص:

صنعت الترجمة من الألمانية إلى العربية حركة ثقافية معتبرة خلال الماضي القريب، ولكنها إذا ما قورنت بالترجمة من الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والتركية تبدو متواضعة في مداها الزمني وفي حجمها الكمي إلى حد كبير. وأسباب ذلك ثقافية الطابع لكنها تحمل ملامح جغرافية وسياسية أيضا حيث إن هذه الحركة بدأت في المنطقة العربية وفي مصر على وجه الخصوص عبر جهود محمد علي باشا (١٧٦٩ – ١٨٤٨) الذي كان حاكما عثمانيا لمصر في الفترة من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٠، والذي أولى ترجمة المصادر الغربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر أهمية خاصة. ووجه اهتماما كبيرا إلى ترجمة الكتب السياسية والعلوم الحديثة بحيث تخدم توجهاته الطموحة لبناء جيشه ودولته. إلا أن حركة الترجمة من الألمانية عاشت قفزة هائلة في النصف الثاني من القرن العشرين عندما افتتحت في الجامعات العربية وفي مصر خاصة أقسام للغة الألمانية تخرج مترجمين ومعلمين يتقنون الألمانية.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، المترجم،المثاقفة، الألمانية، العربية.

Translation from German into Arabic as a bridge for the transfer of culture

Syed Ahmed Fathalla Abouzid
Department of German Language - Faculty of Languages and Translation/ Al-Azhar University, Cairo, Egypt
E-mail: sayedfathalla@azhar.edu.eg

ABSTRACT:

Translation from German into Arabic made a significant cultural movement during the recent past, but when compared to translation from English, French, Italian and Turkish, it seems modest in its temporal range and in its quantitative size. The reasons for this are cultural in nature, but they bear geographical and political features as well, as this movement began in the Arab region and in Egypt in particular through the efforts of Muhammad Ali Pasha (1769-1848), who was the Ottoman ruler of Egypt from 1805 to 1840, who first paid special attention to the translation of Western sources. However, the German translation movement experienced a huge leap in the second half of the twentieth century when German language departments, graduating translators and teachers who are fluent in German, were opened at Arab universities, especially in Egypt . This research deals with the methodology of intellectual, cultural, literary and philosophical transfer from German to Arabic.

Keywords: Translation, translator, Culture-transfer, German, Arabic**.**

الترجمة من الألمانية إلى العربية كجسر لنقل الثقافة

"وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ" **الروم ٢٢**

هذا البحث يتناول منهجية النقل الفكري والثقافي والأدبي والفلسفي من الألمانية إلى العربية سواء عبر لغة ثالثة أو بالنقل المباشر عن الألمانية، بما اعترى حركة الترجمة المعاصرة من إيجابيات وسلبيات. وهو يتكون من مقدمة وخمسة مباحث تمثل أربعة منها الموضوع ثم يختمه المبحث الخامس بالنتائج والتوصيات المنشود تطبيقها للارتقاء بالتواصل الحضاري بين اللغات عموما – وفي مجال النقل من الألمانية إلى العربية بوجه خاص.

أولا: مقدمة في اللغات ونشأتها ودور اللغات و الترجمة بخاصة في التعارف بين الأمم

اهتم علماء اللغة في حقل العربية – كما في كثير من اللغات القديمة في العالم القديم – بنشأة اللغة وتطورها، ولا شك أنه شيء هائل ونعمة جليلة توقف كثيرون أمامها مبهورين، وذهبوا في أصولها إلى أحد احتمالين: إما أنها منحة وهبة ربانية، أو أنها تواضع بين البشر، ولكلا الفريقين أدلته واتجاهاته. وصحيح أن الكلام يشمل اللغة وغيرها، ولكن أبرز وسائله وأتمها هي اللغة بالحروف والكلمات والمعاني والأصوات التي حرصت الذائقة البشرية على صقلها ورفدها بالعلوم والفنون وبدائع القول، حتى صارت اللغات اليوم صروحا ضخمة وأبنية هائلة فخمة، تستمتع النفس الحصيفة بتلقف دقائقها والسير في ركاب موكبها فتأنس وتؤنس بالقول المنسوج والكلام المنضبط وفقا لقواعد القول نظما أو نثرا، وأعلاه مستوى وحسن رصف كما وصف الجرجاني هو كلام العلي القدير، فهي متعة لا يعرف كثيرون الآن حقها وقل من يصل إلى أوجها. وكان العديد من علماء العربية الموسوعيين تناولوا مسألة أصل اللغة في مباحثهم الثرية والدقيقة كما فعل ابن حزم القرطبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري وأبو

حامد الغزالي في القرن السادس، وأبو حيان الأندلسي وابن تيمية وغيرهم كثيرون ممن اهتموا بأصول اللغات وتفرعاتها وطرائق تجويد الأداء بها.

فليس جان جاك روسو الذي تكلم في زمن التنوير الأوروبي أول الباحثين في أصول اللغة ونشأتها، بل إن علماء عربا وغير عرب تعرضوا لذلك منذ القدم، وهذا ابن جني في كتابه الرهيب "الخصائص" يقول عن اللغة، في وصف دقيق وتعريف شهير: "أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وهذا معنى شامل في مضمونه جامع في دلالته. ولقد بذل علماء اللغة العرب جهدا فكريا ولغويا فائقا في التعريف باللغة وطبيعتها ونشأتها: نذكر من علماء العرب أسماء مثل ابن الحاجب في شرح منهاج الأصول، وابن خلدون في مقدمته وابن الأعرابي وقطرب وابن الأنباري في رسائلهم وأعمالهم التي أثرت الحياة اللغوية فيما بعد، وانبرى رواد لوضع أسس أولية للمعجم العربي في رسائل عن أسماء الخيل والإبل والسرج والمطر والقوس والسيف والصفات والمعاني، وظهر ذلك خاصة في القرن الثاني الهجري سعيا لتحصيل المعاني التي قصد إليها الكتاب العزيز على أقصى درجة ممكنة: فارتحل عباقرة إلى البدو لضبط الدلالات الأصيلة في اللغة على حسب موارد اللغة عند العرب الأقحاح وانطلاقا من سجاياهم اللغوية فبذل الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وأبو عمر الشيباني والرياشي وابن الأعرابي وقطرب والفراء والنضر بن شميل والمبرد وغيرهم جهودا مشكورة لثبت اللغة وضبط معجمها وفهم معاني القرآن الكريم وفقا للأصول العربية الصافية والتي لم تختلط بلغات أخرى غير عربية أو عربية لكنها غير فصيحة. وهكذا نشأت لدينا بالتدريج معاجم ضخمة مثل "صحاح العربية" للجوهري الذي يحوي أربعين ألف مادة، و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي الذي يحوي ستين ألف مادة، و"لسان العرب" لابن منظور المصري الذي يحوي ثمانين ألف مادة وتاج العروس للزبيدي الذي يحوي مائة وعشرين ألف مادة. إنها أمة بدأت مسيرة العلم مع تنزل القرآن وسارت في ركابه نحو علوم شريفة ومعارف نافعة للناس وتمكث في الارض، هذا رغم أن اللغة العربية كانت سابقة الإعداد بالتباري في مناسبات ومحافل

ضبطت الذائقة وصقلت مواهب القول والتعبير عن المعنى بألف زاوية وزاوية تمهيدا لتلقي الأمة كتاب ربها وهي أهل لأن تعي وتتذوق في محفل هائل وسياق مهيب، فكانت المعلقات أعظم نتائجها اللغوية وهذه النتائج كانت تمهيدا لفهم القرآن في نسق تاريخي فريد، فنهضت أمة من العدم وصار لها شأو حضاري باهر لأن اللغة أتاحت لها ذلك. وربما كان العرب الأقدمون أكثر اهتماما بالتأصيل للغة وضبط فلسفتها بصورة تفوق جهودنا المعاصرة بمراحل كما يمثل الفرق بين الأورجانون الأرسطي وبين فرديناند دو سوسير وجادامر في النسق الغربي. ولن نخوض كثيرا في كون اللغة إلهاما ربانيا أم اصطلاحا بشريا بإقدار الله لآدم على تسمية الأشياء كما أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير آية "وعلم آدم الأسماء كلها"، فقد صارت اللغة صرحا مهابا في كل الأمم، ولا يكاد يتقنه حق الإتقان إلا العارفون الحاذقون، دائبو البحث والتجديد والتجويد. لكننا نقر بأن اللغة هي النعمة العظمى في التعايش بين أبناء اللسان الواحد وبين كل أصحاب اللغات على اختلاف مشاربهم وتنوع أصولهم. ولا بد أن نقرر هنا أن العربية في القديم والحديث كانت لها ريادتها في الوعي بفنون القول وعرض الفكر والمشاعر الإنسانية بدقة وكذا في التأنق في عرض المعنى الباهر والخاطرة الآسرة، ونقل منها الكثيرون إلى لغات أخرى ونقلت هي بقدرتها الفذة عن اللغات الأخرى، ومنذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم عرف أهل اللغة العربية نقل الحديث النبوي والتعريف بالرسالة العصماء إلى أصحاب الشأن في اللغات الأخرى، فقدمت لغة عالمية في إهاب بدوي بسيط ومعاني سماوية مشرقة.

ثانيا: الترجمة من الألمانية إلى العربية ودورها في نسج الجسور الثقافية

صنعت الترجمة من الألمانية إلى العربية حركة ثقافية معتبرة خلال الماضي القريب، ولكنها إذا ما قورنت بالترجمة من الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والتركية تبدو متواضعة في مداها الزمني وفي حجمها الكمي إلى حد كبير. وأسباب ذلك ثقافية الطابع، لكنها تحمل ملامح جغرافية وسياسية أيضا، حيث إن هذه الحركة بدأت في المنطقة العربية وفي مصر على وجه

الخصوص مع جهود محمد علي باشا (١٧٦٩ – ١٨٤٨) الذي كان حاكما عثمانيا لمصر في الفترة من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٠ ، وقد أولى محمد علي ترجمة المصادر الغربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر أهمية خاصة. ووجه اهتماما كبيرا إلى ترجمة الكتب السياسية والعلوم الحديثة بحيث تخدم توجهاته الطموحة لبناء جيشه ودولته.

وقائمة الكتب التي ترجمت في عهده لا تحمل عنوانا لكتاب ألماني واحد ما يدل على ضعف التواصل بين الألمانية والعربية في ذلك الوقت. فكتاب جمال الدين الشيال[١] الذي وضعه عام ١٩٤٣ لإحصاء الكتب التي ترجمت إبان تلك الحركة ورصد له المثقف أنطون الجميل جائزة قدرها خمسون جنيها مصريا ضمن مسابقة علمية – هذا الكتاب يشمل ٣٠٠ كتاب مترجم من مصادر غربية ليس بينها كتاب ألماني كما أسلفنا.

كذلك لا يضم كتاب جاك تاجر الذي صدر بهذه المناسبة وحمل عنوان "حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر" ينطبق عليه ذات الوصف أيضا.[٢]

---

[١] انظر جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي. بحث أجيز لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة فاروق الأول ونال جائزة البحث الأدبي لسنة ١٩٤٦ من مجمع فؤاد الأول الملكي للغة العربية. نشر دار الفكر العربي ١٩٥١. وقد سرد الشيال توجه محمد علي باشا أولا إلى انجلترا وفرنسا لنقل العلوم، ثم استغنى عن الدولتين لصالح التوجه إلى إيطاليا والاستعانة بالإيطاليين في مدارسه الأولى وإعداد جيشه، وذكر الشيال البعثات الأولى التي أرسلها محمد علي إلى إيطاليا والكتب الأولى التي ترجمت عن الإيطالية .

[٢] انظر جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر. وفازت هذه الرسالة أيضا بجائزة مجمع الملك فؤالد الأول للغة العربية عام ١٩٤٥. ونشرتها دار المعارف بمصر دون ذكر تاريخ النشر. كان جاك تاجر مصريا من أصول سورية وعمل أمينا للمكتبة الخاصة بجلالة ملك مصر، وبدأ كتابه بالحملة الفرنسية على مصر وتعرض لمترجميها، ثم إنشاء مدرسة الألسن وتحدث عن أعيان المترجمين وسيرهم وأشهر ما ترجموه منذ عهد عباس حلمي مرورا بمن جاء بعده حتى عهد الخديوي إسماعيل وقيام المصالح والدواوين بدور الترجمة وكذلك الترجمة في المحاكم وفي الصحافة وأشهر الأعمال التي ترجمت حتى القرن التاسع عشر، وأثر ذلك على أسلوب العربية الحديثة وعلى الفكر العربي الحديث.

وحتى بداية القرن العشرين لا توجد أعمال ذات أهمية ترجمت من الألمانية إلى العربية برغم بدء تدريس اللغة الألمانية في برنامج مدرسة الألسن التي أسسها رفاعة طهطاوي عام ١٨٣٥، فمعرفة العرب والمسلمين بالغرب الحديث كانت تتم بصورة شبه كلية عن طريق اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والتركية.

إلا أن حركة الترجمة من الألمانية عاشت قفزة هائلة في النصف الثاني من القرن العشرين عندما افتتحت في الجامعات العربية وفي مصر خاصة أقسام للغة الألمانية تخرج مترجمين ومعلمين يتقنون الألمانية.

ولم تكن الفلسفة والعلوم الألمانية بمنأى عن ثورة النقل التي شرع المهتمون بالعلوم الغربية في الاجتياز بها إلى رحاب العربية في إطار هذه الحركة الثقافية الكبيرة، لكنها كانت تتم غالبا عبر لغة ثالثة ولم تكن تتم عبر النقل المباشر من الألمانية إلى العربية،[٣] وكانت الفرنسية والإنجليزية تحتلان في الأغلب النصيب الأكبر من هذه الترجمات. ولم تعرف الثقافة العربية النصوص الألمانية إلا في النصف الأول من القرن العشرين كما لم تعرف النقل المكثف عن الحضارة الألمانية والفكر الألماني إلا في العقود الأخيرة، أعني حركة النقل عن النصوص الألمانية المباشرة، وأما الفكر والفلسفة الألمانية فكانا دائما سباقين عبر الترجمات التي صدرت عن تلك النصوص في لغات أخرى قبل التوجه الحديث نسبيا لحركة الترجمة عن الألمانية، حيث راح عدد كبير من المترجمين ينقلون الآن النصوص الألمانية الأصلية إلى اللغة العربية، وليس نقلا عن لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما. وصحيح أنها لم تكن ترجمات متقنة دائما لكنها كانت أفضل حالا من النقل عن لغة ثالثة، وهي طبيعة النقل التي سادت من قبل.

[٣] نشر الباحث السوري عبود عبده عبود مقالات وكتبا عديدة عن هذا الأمر لها أهميتها وتميزها في هذا الصدد.

ومن أسف أن عددا ممن نقلوا عن مصادر ألمانية اعترفوا بأنهم نقلوا دواوين كاملة وأعمالا كبرى لشعراء وأدباء ألمان، مثل ريلكه وشيلر وجوته وهاينه وكلايست دون أن يتقنوا اللغة الألمانية، كما اعترف كاظم جهاد في مقدمة ترجمته لأعمال ريلكه، مبينا أنه نقلها دون أن يتقن اللغة الألمانية (ريلكه: كتاب الساعات وقصائد أخرى، ترجمة كاظم جهاد. بيروت ٢٠٠٩).

ثالثا: خلفية تاريخية:

سبقت الإشارة إلى أن الأعمال المترجمة من اللغات الأوروبية إلى العربية لم تتضمن في البداية عناوين ألمانية على الإطلاق واستمر هذا الوضع حتى بداية القرن العشرين. وقبل أن نتناول هذا الجانب يجب أن نعطي نبذة لها دلالتها وأهميتها في هذا المجال، تعد مثلا ونموذجا يحتذى في دنيا الثقافة والعولمة، وهي تتعلق بجهود الألمان الرائدة في الترجمة إلى لغتهم التي نقلوا إليها كمية زاخرة من العلوم والنصوص الأساسية منذ القديم، فالألمان من أكثر الشعوب نقلا إلى لغتهم، بل إنهم حسبما نعلم هم أكثر شعب ينقل العلوم والفنون والأفكار والآداب إلى لغته، بحيث لا نبالغ إن قلنا إن من عرف اللغة الألمانية وأتقنها امتلك بلا ريب كنزا معرفيا هائلا. فنحن بصدد قوم ضربوا مثلا رائعا للرغبة في التفرد المعرفي والبروز العلمي. فجدوا في الترجمة إلى المستوى المنشود، ورغم أن تاريخ الألمانية قصير نسبيا، خاصة إذا ما قورن بتاريخ لغة كالعربية التي ضربت جذورها في عمق الزمان، إلا أنهم أكسبوا لغتهم رونقا عالميا من خلال توافر العلوم والمراجع الألمانية في شتى مجالات العلم، ويرجع الفضل الأكبر في ذلك للترجمة التي أتاحت لأبناء اللغة وجود مراجع تيسر البحث عليهم والابتكار، وفي حين لم تنشأ الألمانية إلا في القرن الثامن للميلاد، ورغم تغير نمطها وشكلها وأجروميتها مرتين أو ثلاثا، حتى إن اللغة التي يتحدثون بها اليوم لا تزيد حصيلتها الزمنية عن عدة قرون ربما لا تتجاوز في عددها أصابع اليد الواحدة، إلا أنها صارت رغم ذلك لغة رائدة في وقت قصير في سياقها الأوروبي والعالمي. فهناك اللغة الألمانية القديمة التي لا

يستطيع أحد أن يفك رموزها ولا يتقن أصواتها اليوم إلا نفر ممن تخصص فيها وهم قلة، بل إن اللغة الوسيطة التي جاءت بعد ثمانية قرون من الأولى لا تكاد تحظى بفهم أو إتقان نطق بين الألمان اليوم، أما هذه اللغة الألمانية الحديثة التي يتكلمونها اليوم فقد مرت وتمر كل قرن أو أقل بتعديلات وتغييرات هائلة، يحاولون بها تحسين الأداء ومواكبة العلم والتقدم بالتضافر مع ابتكار وسائل جديدة للتعبير وزيادة التدقيق والضبط في كل عصر. لكن العلاقة بالنصوص القديمة قائمة ولا شك مع تغير أنماط اللغة السائدة، ومع ذلك فقد جعل الألمان من لغتهم رصيدا زاخرا للعلوم، ونقلوا إلى اللغة الحديثة التي أنشأها مارتن لوثر في القرن السادس عشر أصناف العلوم والمعارف والفنون والمناشط بصورة تذهل كل ذي لب، وفي مجال الترجمة كانوا هم الأبرز والأبرع، حتى إن الباحث ليجد لديهم مصدرا بل مصادر موثقة في كل علم وفن ومنشط، وصارت هذه اللغة الألمانية القصيرة زمنا الواسعة مدى حاضنة لكل صنوف المعارف بصورة لا نظير لها. وبعد تشرذم لغوي طويل الأجل التأمت شعاب لغتهم الوسيطة على يد لوثر وغيره لتصير حصنا وملاذا صنع لهذه الأمة مكانة بين الأمم بعد أن لم تكن إلا قبائل وشراذم من الناس يتناحرون أكثر مما يتفقون. الآن صارت هذه اللغة أكثر لغة ينقل إليها شعبها معارف العالمين، فلا يوجد مجال علمي أو منشط بشري إلا ولهم فيه قول، وعندهم منه علم لا يفيدون هم فحسب منه، بل يفيدون غيرهم كذلك، فالألمان أكثر شعوب الأرض نقلا للعلوم والفنون إلى لغتهم، وصارت لغتهم بذلك ثالث أكبر لغة ينقل منها إلى لغات العالم برغم عددهم الأقل في عالم الإحصاء، لكنهم شعب وعى أثر اللغة في دنيا الناس فاهتموا بها وعضوا عليها بالنواجذ وأخذوا بيدها إلى العلا غير مسبوقين في كد أو جهد. ويكاد كل ألماني يفقه علما أو يتعرف على علم لم يكن شعبه يفهمه إلا وينقل من اللغات الأخرى مما يحسن شيئا فيه، يمد به أهل لغته إمدادا لا مزيد عليه، ويرفدهم فيه بمعارف ذات بال، سواء كان ذلك في الطب أو الفلك أو الهندسة أو الزراعة أو التكنولوجيا أو معالم البلدان والأوطان والإنسان أيا كان مكانه وزمانه، إننا بصدد تجربة بشرية فريدة يجب دراستها، وأجدر

الناس بدراستها والإفادة منها هم شعوب العربية التي ينطبق عليها في هذا السياق قول حافظ إبرهيم عليه رحمة الله

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة وكم عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا فيا ليتكم تأتون بالكلمات

إن أبناء العربية أجدر الناس بالإفادة من التجربة اللغوية الألمانية لأنهم تفننوا في تمزيق لغتهم في حين تفنن الألمان في لم شمل لغتهم، ووحدوها بعد طول تمزق وتشرذم وجعلوها مقصدا للدارسين ومحبي العلم والثقافة بما نقلوا من علوم إليها حتى صارت في الألمانية مراجع جامعة في كل علم من العلوم وفي كل فن من الفنون التي جادت بها قرائح البشر،

لقد أورد فيرنر كولر في كتابه الرائد "مدخل إلى علم الترجمة" إحصاءات دولية تبين بروز الألمان في النقل إلى لغتهم كأول شعوب الأرض حرصا على ذلك حتى إنه نقل حوارا عن شاعر الألمانية الكبير يوهان فولفجانج جوته أنه قال لأحد الضباط المهندسين من الإنجليز ناصحا له ان يوصي قومه بأن يتعلموا الألمانية إلى جانب الفرنسية التي كانت في عهده لغة للأسفار والسياحة، حيث إن كل راغب يمكنه أن يجد كما يقول جوته "ترجمات ألمانية جيدة للأعمال اليونانية واللاتينية والإيطالية والإسبانية بحيث يمكنه قراءة هذه الأعمال بلغة الألمان دون تجشم العناء في تعلم لغات أخرى وإنفاق الوقت في ذلك ما لم يكن له غرض آخر بخلاف الاطلاع عليها".[٤]

---

[٤] فيرنر كولر "مدخل إلى علم الترجمة" وبياناته بالألمانية:

Koller, Werner: Einführung in die Übersetzungswissenschaft. 7. Aktualisierte Auflage. Wiebelsheim: Quelle&Meyer. 2004. S. 28.

هذا العمل تناول ببراعة نظرية التكافؤ في الترجمة ولكنه مهد لها بفصل مسهب عن أسس الترجمة وطرقها العملية سواء أدرك المترجمون أم لم يدركوا، وسواء كتبوا عن مناهجهم في الترجمة أو لم يكتبوا، وعالج استراتيجيات التعامل مع النصوص بأنواعها، وهو يستحق فعلا أن ينقل إلى اللغة العربية لما فيه من فائدة كبيرة.

فمن خلال هذا الوعي بثراء اللغة الألمانية انطلق هذا العملاق اللغوي، أعني جوته، من حقيقة راسخة عن مقام الألمانية ونشاط أهلها حتى صارت معينا ثريا يفيد الفكر والإبداع والتقدم الألماني، لأن اللغة بكثرة النقول إليها من لغات عديدة صارت كنزا هائلا لكل ما هو معرفي في الوجود البشري، وهذه اللغة هي التي مكنت جوته من إبداعاته الكبيرة بهذه الروح الوثابة والتنوع الهائل في أساليب الشعر والنثر بدرجة يقل نظيرها في هذا الوجود، وأتاحت هذه الترجمات الكثيرة التي قامت بها أجيال سبقت – أقول أتاحت هذه الترجمات لجوته وأقرانه قراءة التراث اليوناني بجملته والتراث الروماني بأسره إضافة إلى إبداعات الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والإسبان والصينيين والهنود واليابانيين، كما أتاحت النقول إلى الألمانية دراسة كل ذلك لكل ساع وقادر، وبالجملة أدت هذه الحركة العلمية الوقادة قدرا هائلا من العلم بالتراث العربي كذلك أسهم عدد من المستشرقين المنصفين في إيصاله إلى المحيط الثقافي الألماني والعالمي، نحن إذن بصدد شعب كأن كل واحد فيه يباشر نشاط الترجمة، وكأن الترجمة قدر للألمان، ومن هنا كان أستاذنا محمود فهمي حجازي رحمه الله يصف الألمان بأنهم شعب عامل بالعلم كاشف له ومنقب عنه، أما الإنجليز وغيرهم فينقلون – حسب رأيه – عنهم، وهذا ما جعلهم لا يجدون قاموسا متميزا في المفردات العربية بلغتهم إلا من خلال ترجمة جهود العالم الألماني هانز فير الذي سبر أغوار العربية وصنف قاموسا فريدا في تميزه، مؤصلا في ترتيبه، واختصار مساحته بآلية لها عبقريتها في المناهج المعجمية، فأتاح باستخدام الرموز المتقنة الدالة على الاشتقاقات المختلفة للجذر العربي، مجالا رحبا لتبويب كلمات العربية معجميا بنسق رائع، فما كان من الإنجليز إلا أن ترجموه كما هو إلى لغتهم دون إضافة تذكر وسد هذا القاموس الرائع بذلك خللا في المكتبة الإنجليزية فيما يخص تعلم اللغة العربية والبحث فيها. وكان هذا ثمرة لنقلهم جهد هذا الباحث الألماني المتميز والمستشرق النحرير هانز فير من لغته التي صنف بها إلى الإنجليزية.

إننا إذا أردنا تحصيل قدر معتبر من العلوم والفنون والأفكار والرؤى علينا أن نقتحم هذا المسار الفريد اقتحاما ونبذل الجهد والمال على الترجمة من اللغة الألمانية التي تشمل جميع فروع المعرفة والعلوم في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والأدبية والدينية والطبيعية والفلكية والفضائية والهندسية ... إلخ، وإذا أردنا أن نسبق في تحصيل تلك المعارف التي امتلكها الألمان بالترجمات الهائلة والمعارف المؤصلة، فعلينا أن ننتهج هذا النهج في تكثيف النقل عن الألمانية لأن القوم أتقنوا الأصول التي أتاحتها لهم طبيعتهم وأتاحها شغفهم بالترجمة إلى لغتهم التي صارت ترسانة هائلة من المعارف، لا يكاد يند عنها عنصر أو يخرج عن إطارها منشط بشري.

لا يعني هذا أن الألمان يصيبون في كل شيء بسبب توافر ترجمات أمهات العلوم وفروعها المختلفة بلغتهم التي ينطقون بها، فعلى رغم اضطلاع كثير منهم بتحقيق التراث الإسلامي وإخراج كتب كثيرة لم تكن منشورة وبروز جهودهم اللغوية في مجالات علوم اللغة العربية وتحقيق كتب ومصنفات ألفاظ علوم الحديث وألفاظ القرآن الكريم، ومباحث علوم القراءات وعديد من مجالات العلوم الإسلامية الأصلية (ومن أبرزها الانشغال بمعاجم ألفاظ القرآن الكريم ومعاجم ألفاظ السنة المشرفة)، إلا أن هذا لم ينف عن كثير منهم التعصب المعهود ضد الإسلام منذ القرون الوسطى ومنذ فترة الحروب الصليبية، ورغم عملهم العلمي الرائد أوروبيا، إلا أن كثيرين منهم ينفر إذا نبهته لخطأ في هذا المجال أو ذاك، حتى أن أستاذة كبيرة في علوم الإسلام وهي أنجيليكا نويفيرت التي تابعت مسارا مضطردا في علوم القرآن مدة كبيرة في جامعة برلين، وما تزال، ألفت قبل عدة سنوات كتابا يثير الضحك أكثر من الإعجاب، وزعمت أن القرآن منتج جماعي شارك فيه أهل الجزيرة جميعا ولم ينفرد به – حسب فهمها – محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كان نصا صاغه الجميع في الجماعة التي أحاطت به وبزمن بعثته، فالمشركون وأهل الكتاب شاركوا في صياغته على حسب زعمها كما ساهم فيه المسلمون سواء بسواء، ولا أدري من أين جاءت بهذا الفكر الطائش والتوجه المثير للسخرية.

وصحيح أنها أرادت بذلك الرد على غلو استشراقي آخر مارسه أساطين سابقون يزعموا أن محمدا نقل عن الكتاب المقدس لليهود والنصارى آيات القرآن الشريف وسوره، وقالوا أنه لم يكن كتابا مستقلا عما جاء في الكتب السابقة فيما يعرف بالكتاب المقدس، أي التوارة والإنجيل معا كما يمكن تشبيه الحال على وجه التقريب، فزعمت أنه ليس كذلك، ولكنه إنتاج الجماعة التي أحاطت بمحمد عليه صلوات الله وسلامه، ولكن هذا زعم مرفوض أيضا لأنه لم يقدم إلا ردا متخرصا على قول متخرص، وهو لا يقل ضلالا وانحرافا عن الحق عما كان عليه سابقه، إنهم فئة من الناس لا تستطيع رؤية الحق لطول ما ألفت من باطل، ونحن نعلم ذلك وهي سنة الله الماضية، فلن نحيد عن بيان زيف الزائفين، وهي ضريبة حمل الحق وبلاغه وبيانه، ولن ننكث عن رسالته، ولن نجبن عن خوض تحدياته، ولن يزيدنا إصرارهم على الزيف إلا إصرارا على الحقيقة، ولا علو صوتهم في محافلهم "العالمية" إلا صدعا بالحق في أزمة الركود والبرود وانزلاق الكثيرين من المتخاذلين بيننا نحو متاع الغرب الرخيص وضلاله العريض. إن التعارف بين الأمم لا يعني التهاون مع الباطل والزيف الصراح من أجل تحقيق مكاسب آنية ومنح مغموسة بالإفك وشهادات راودها الزيف فهمت به وهم بها من دون برهان ولا عفة. إن مثل هذه الرؤى تحتاج إلى من يترجم ثم من يرد على مثل هذا النزق الفكري الموغل في الغرابة والانحراف الغائص في اللجاجة وتقنين الانحراف على أنه علم وإنصاف، إننا في حاجة لمن يعقب ويوضح إن كنا نريد إنتاجا علميا ستسأل أجيال من الأمة عنه ما دام قد ظهر في زمانها ووقتها. ومن قبل برز أمثال جولدتسيهر ونولدكه وشاخت وناجل بأفكار شاردة تطعن الحقيقة في سويداء قلبها، والغريب أن الباحثين الراغبين في الرد على هذا الزيف المغالي يقابلون بالرفض في أروقة الغرب العلمية بدعوى أن ومنهجهم غير علمي. وكلية اللغات والترجمة وغيرها من كليات جامعة الأزهر بما آتاها الله من قدرات وملكات ومسؤوليات يمكن أن تضطلع بدور هائل في هذا إذا نسقت جهودها ووجهت مقاصدها إلى العمل الصائب الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض، شريطة أن تعينها الجامعة على ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى

وإنجازا لدورها الأصيل، فليس هناك مؤسسة يمكن أن تقوم بهذا الدور مثل أقسام اللغات في أروقة الجامعة الأزهرية الرائدة، ولا بد أن نواجه أنفسنا بصراحة في توجيه النقد الهادف وتقبله في مجال تصحيح مواطن الخلل، وتشجيع العمل الصحيح الذي يسعى إلى تحسين الأداء ويصل بنا إلى الهدف المنشود الذي نبدو فيه الآن وبالقياس إلى المتطلبات الآنية بعيدين جدا عن إدراك عشر معشار الغاية منه. إن الولوج إلى الواجبات الفعلية لمؤسسات أتيحت لها مثل هذه القدرات والطاقات المعرفية – لكن لا يستفاد منها بالصورة الصحيحة والواجبة – يجب أن يكون ديدنا لمؤسسة الأزهر بجميع مستوياتها. فليس كل من ينقد خللا يكون متآمرا، بل إن النقد الذاتي هو أول خطى النجاح والتميز كما شهدت بذلك تجارب البشر في كل مكان. وطريقة المؤسسات البحثية الرائدة ومنهجيتها النقدية المعتبرة تؤكد ذلك كما هو ماثل للعيان.

رابعا: حركة الترجمة من الألمانية إلى العربية في العصر الحديث:

بدأ نقل الأعمال الأدبية والفكرية من الألمانية إلى العربية في القرن العشرين، لكن ذلك تم غالبا عبر لغة وسيطة كانت في الغالب هي الفرنسية أو الإنجليزية. لكن النقل عن النصوص الألمانية تزايد خاصة مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين كما أسلفنا القول، ثم تزايد أكثر وأكثر في العقود الأخيرة، لكن النقل عن اللغات الوسيطة ما يزال كبيرا حتى اليوم.

ويمكن هنا أن نثبت أن المترجمين الذين حصلوا معارف جيدة عن ما ترجموه عن الألمانية، نقلوا نقلا جيدا أو مقبولا في أقل تقدير. وشهدت مرحلة منتصف القرن العشرين ترجمات كالتي نقلها رواد مثل محمد عوض محمد وعبد الرحمن بدوي وعبد الغفار مكاوي ومصطفى ماهر، ممن كانوا على دراية بدرجة تزيد وتنقص باللغة الألمانية وحضارتها، حتى وإن لم يكن بعضهم من المختصين بعلوم اللغة الألمانية في المقام الأول، إلا أن مستوى هؤلاء الثقافي العام الذي كان مستوى رفيعا، أعانهم بشدة على إتمام مهمتهم، وكذلك أعانتهم الاناة ودراستهم الجيدة للموضوع الذي ينقلونه إلى العربية على إنجاز الترجمة بنجاح، ورغم أن عبد الرحمن بدوي نقل

الكثير عن الثقافة والأدب الألماني عن اللغة الفرنسية إلا أن كمية المعلومات التي يسوقها في ترجماته تدل على جهد كبير يحسب لصاحب الترجمة في خدمة موضوعه ورفده بالعديد من المصادر التي تعين على سوق الخلفيات المعتبرة أمام القارئ العربي، كما فعل في ترجمته لرائعة جوته "فاوست" التي زخرت بمعلومات وتأصيلات وافرة وضافية، لكن مستواها الأدبي لم يكن على مستوى ما قدمه محمد عوض محمد في ترجمة الجزء الأول من العمل. وقد قدم بدوي للمكتبة العربية حوالي ١٥٠ عملا أدبيا وفلسفيا، بينها العديد من الترجمات لأعمال ألمانية شهيرة، أثارت نقاشا ثقافيا مثريا ومؤصلا. برغم أن بدوي كان كثيرا ما يسوق أفكار غيره دون أن ينسبها لقائلها، وإنما يقدمها دون إشارة إلى مصادرها التي أخذ منها مادته. ورغم أنه تأثر كثيرا بالفيلسوف الألماني مارتن هايدجر إلا أنه لم يترجم أعمالا له إلى العربية. وكان المنتظر منه بحسب التخصص والدعوة إلى الوجودية التي تبناها بدوي زمنا طويلا – كان ينتظر أن ينقل شيئا من هايدجر في السياق الفلسفي الذي ساد فترة في محيط الثقافة المصرية ورواد الفلسفة والفكر زمنا غير قصير. وكان الأولى في توجيه الترجمة منهجيا أن ينقل بدوي في مجالاته الفلسفية والعقلية أكثر من المجالات الفلسفية والفكرية، فهو أقدر عليها من قدرته على القضايا الأدبية والمعرفية، رغم مستواه البارز فيها، لكن فائدة اضطلاعه بالنقل في الأمور التي درسها وتخصص فيها كانت ستكون أكثر نفعا للمكتبة العربية من الفائدة المتحققة في المجالات الأدبية والبلاغية، ومع ذلك نشيد بجهوده وجهود الرواد البارزين الذين ذكرناهم وكذلك بما قدمه مصطفى ماهر من ترجمات انحصرت تقريبا في المجال الأدبي وكانت مثالا يحتذى للنقل عن الألمانية في مجال محدد تخصص المترجم فيه ودرس أصوله في معاهد العلم زمنا غير قصير، وصحيح أن أحدا لا يبلغ الكمال، وكل عمل بشري يعتريه النقص، لكن ما قدمه مصطفى ماهر للعربية عن الألمانية نموذج طيب يقوم به الآن عدد من المترجمين المحدثين مثل لويس جريس وغيره في مصر وأعداد صارت تند عن الحصر في البلاد العربية الأخرى.

وبمناسبة هايدجر الذي لم يحظ كثيرا بمن يترجم كتبه الأصلية الألمانية إلى العربية إلا أننا عشنا في ٢٠١٢ ترجمة عربية لعمله الشهير "الوجود والزمن" على يد التونسي فتحي المالكي، حيث قام بترجمة مباشرة من الأصل الألماني ونشرت الترجمة في بيروت بدار الكتاب الجديد، وربما كان الأولى بذلك فيلسوف الوجودية في المشرق العربي عبد الرحمن بدوي كما قلنا، لاحتكاكه بالثقافة واللغة الألمانيتين بدرجة كبيرة. لكننا لا نقطع بأنه كان في إمكانه ذلك، بل نقول إنه كان احتمالا قويا لأن بدوي كان فيلسوفا تبنى الفكر الوجودي والترويج له في المشرق العربي، لفترة طويلة قبل أن يأخذ سفينة الأوب إلى رؤى الإسلام وبهاء فكرته وعقيدته، فكتب أعمالا تنافح عن رسول الإسلام وعقيدته بعد طول شرود.

ورغم أن كمية الأعمال المترجمة من الأدب الألماني والفلسفة الألمانية إلى العربية زادت في الآونة الأخيرة إلا أنه ما يزال أقل مما ينقل عن الثقافة الألمانية عبر لغات وسيطة. وهذه حقيقة محزنة لمن يتعامل مع كل هذا الكم من الإنتاج المعرفي والفكري والفلسفي لشعب "الشعراء والمفكرين" كما يطلق الألمان على أنفسهم، والذين نقلت إلينا كثير من أعمالهم الرائدة فكرا وصنعة وأداء إلى العربية من خلال لغات أخرى أدت إلى تشويه الكثير من تلك الأفكار والأقوال.

وقد لمس الوسط الثقافي العربي أنه على الرغم من الخطاب الثقافي الذي أثارته وأثرته ترجمات عبد الرحمن بدوي في المجال الفلسفي، إلا أن ترجماته الأدبية، خاصة في مجال المسرح لم تحظ بهذا التأثير الثقافي كالأعمال الفلسفية، لأن اختياراته اللغوية كانت صعبة الإدراك في المجال المسرحي والأدبي مثلا، بحيث لم يتمكن المسرح المصري أو العربي من تقديمها على خشبته لصعوبة عباراتها، حتى إن نص الترجمة التي تولاها عبد الرحمن بدوي لمسرحية برتولت بريخت "دائرة الطباشير القوقازية" لم يمكن عرضه مسرحيا إلا بعد تكليف مترجم آخر (هو صلاح جاهين) بنقلها إلى عربية سلسة تتلاءم مع لغة المسرح فعلا، حيث نقلها

خصيصا من الإنجليزية إلى العربية لهذا الغرض، كما أوضح نبيل الحفار في بحث له[٥]. وقد أشرنا إلى علو شأن ترجمة الجغرافي البارز محمد عوض محمد في ترجمة الجزء الأول من مأساة فاوست، ومراعاته قواعد الجمال اللغوي والترجمة الشعرية لبعض المواطن في الأصل الألماني، إذا ما قورنت ترجمته للعمل أو هذا الجزء منه بما نقله بدوي. وصحيح أنه ترجم المأساة كاملة لكن المستوى الأدبي عند محمد عوض محمد كان أعلى بكثير من أسلوب بدوي.

وفيما يخص مسرحية بريخت المذكورة "دائرة الطباشير القوقازية" فقد كان صلاح جاهين الذي ترجمها للمسرح بعد عزوفه عن تمثيل نص بدوي – كان جاهين نفسه مؤلفا للعديد من المسرحيات والأغاني المصرية وخبيرا بلغة الفن واللهجة المصرية، فحققت المسرحية بعد ترجمته لها وعرضها على المسرح نجاحا كبيرا وقلدها العديد من المسرحيين المصريين والعرب، وهو ما لم تكن لتحققه لو عرضت بأسلوب بدوي.

لقد عانى إنتاج أدباء مثل بريخت كما رأينا مع ترجمة بدوي له، من مثل هذه الترجمات، بل وأكثر من ذلك عبر ترجمة شفيق مقار وإبراهيم العريس اللذين نقلا نصوص بريخت من الإنجليزية، كما عانى إنتاج فلاسفة مثل نيتشه على يد مترجم مثل فليكس فارس وكذلك إنتاج شبنجلر وريلكه على يد آخرين – تشويها كبيرا في أفكارهم حال نقلها إلى العربية من الإنجليزية أو الفرنسية، بينما كان هوسرل أفضل حظا حيث تصدى لنقل أعماله غالبا مترجمون ينقلون من الألمانية. وقل مثل ذلك في تشويه أعمال أسماء لامعة مثل كافكا وتوماس مان وجوته وشيلر وفيتجنشتاين وغيرهم كثيرين.

إن فعل الترجمة ينبغي أن يراعي بالضرورة الوسائل المناسبة ليصل النص إلى المتلقي بصورة مناسبة ويحقق المقصود من المثاقفة والنقل الحضاري. فما يناسب الفلسفة يمكن ألا يناسب بالضرورة مجال الأدب والسينما والمسرح. وهكذا ينبغي على المترجم اختيار النمط المناسب والأسلوب المناسب والمنهجية المناسبة لنوع النص الذي ينقله، ويجب اختيار الطريقة المثلى

[٥] نبيل الحفال: تجارب في ترجمة الفن المسرحي من الألمانية إلى العربية، نسخة رقمية. بدون تاريخ أو مكان نشر، نقلت من موقع: https://www.uop.edu.jo/download/research/members/Dr.HaffarVorlesung.pdf تاريخ الدخول ٢٠٢١/١/١٩

ومراجعتها مرارا بعد النقل الأول، لتتاح الفرصة للموازنة بين الأصل والصورة أو بين النص المصدر والنص الهدف. وقد عالجت قضية ترجمة الشعر في سياق سابق تفرد به نظرا لأهميته وبهائه.

غير أن ما قامت به العديد من دور النشر العربية، خاصة اللبنانية، التي اتبعت – إلا من رحم ربك – منهجية للتشويه والتسويء لأعمال عدد من الرواد والكتاب المبدعين من أوروبا – إن ما قامت به هذه الدور أثر بشدة على نقل الأدب والفكر والفلسفة الأوروبية وتشويهها جميعا تشويها كبيرا بسبب الترجمات إما على يد غير المتقنين للغة أو ممن لا يعرفونها أصلا. وكان يمكن أن تعفى هذه الأعمال من هذا المصير لو ساد التنسيق والتعاون بدلا من النمط العشوائي الذي تتبعه الترجمة في بقاعنا العربية. وهذا ماثل بشدة في الترجمة من الألمانية إلى العربية.

إن نموذج بدوي – رغم معرفته النسبية باللغة الألمانية – وكاظم جهاد – الذي ترجم أعمالا رائدة في لغتها الأصلية دون علم بالألمانية – وفيلكس فارس – هذا النموذج غير الجدير بالتقليد في النقل عن الألمانية، يمكن أن نحيد عنه إلى مستوى جيد بحيث لا يتولى الترجمة إلا متقن للغة، خاصة النسق الأدبي الذي يعتبر فيه الجانب اللغوي والأسلوب أساسا لنقل المعنى والجانب الوجداني معا، بخلاف الجانب الفلسفي الذي يمكن أن يتسامح فيه مع نقل الفكرة من لغة وسيطة كما حدث مع تراث كانط وغيره من الفلاسفة الألمان، فيكفي في الفلسفة اضطرارا أن يترجم أحد المجيدين للغة المنقول منها إلى العربية وإن لم يكن ناقلا عن الأصل الألماني، أما الظلال اللغوية والتصويرية والبلاغية والبيان فيصعب تصور ترجمتها جميعا إلى اللغة العربية دون إتقان الألمانية.

إن تأثير الترجمة أمر له أهميته الثقافية التي تزداد أثرا كشرط من شروط الحوار الحضاري والنقل الحضاري إلى اللغة الأخرى. لقد نقلت أفكار عديدة إلى السياق الثقافي العربي نقلا من أوروبا سواء على المستوى العلمي والفكري والسياسي والفلسفي بل والأدبي عبر النقل عن لغات القارة الأوروبية.

ربما كان التواصل بين العرب والمصريين من جهة وبين الألمان من جهة أخرى في العهد الماضي قليلا إذا ما قورن بالاحتكاك المصري العربي بالفرنسيين والإنجليز والإيطاليين والأتراك، إلا أن أفكار الفلاسفة الألمان أثرت برغم ذلك في تشكيل الحياة الفكرية والعلمية في تلك الدول، خاصة أفكار كانط وهيجل ونيتشه وشوبنهاور وماركس وغيرهم كثير، وكذلك أعمال فنية للأدباء الألمان مثل جوته وشيلر وهاينه وريكرت وريلكه وهولدرلين وأيشندورف وتوماس مان وماكس فريش ودورينمات وغيرهم – جميعها أثرت تأثيرا لا يقل عن روافد الثقافات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية التي كانت أقرب للعرب من الثقافة الألمانية لأسباب تاريخية معروفة، ولا سبيل للخوض فيها هنا. لكن أصالة الفكر الألماني وغزارته وتناوله كثيرا من مجالي العلوم الإنسانية والفكرية والأدبية حقق طغيانا لم يحل الجهل باللغة الألمانية دون نفاذه إلى جميع الثقافات ومختلف اللغات.

إن تيار الفكر الألماني الهادر نفذ إلى المحيط الثقافي العربي وإن كان بطرق غير منهجية وغير مؤصلة في كثير من الأحيان بسبب جهل الكثيرين منا باللغة الألمانية زمنا طويلا ولنا أن نسأل عن سبب اختراق الفكر الألماني وتأثيره النافذ إلى الثقافة العربية المعاصرة برغم ضعف حركة الترجمة من الألمانية إلى العربية إجمالا ومداها الزمني الأقل بكثير منه مع اللغات الأخرى: ويمكن في نظري أن يكون سبب ذلك هو صدق الروح الألمانية وعمق الفكر الألماني واستيعابه للمحيط الثقافي الأوروبي والعالمي من القديم إلى الحديث دون أن يهمل جانبا من جوانبه السياسية أو الاقتصادية أو العقدية أو المعرفية، إضافة إلى تأثير الثقافة الألمانية في المحيط الأوروبي والعالمي حيث اشتهر الشعب الألماني بأنه شعب الأدباء والمفكرين، وجاءت أفكار فلاسفة مرموقين من أمثال لايبنيتس وكانط وهيجل وشوبنهاور ونيتشه وماركس مقتحمة آفاقا وأسوارا. ولم يتمكن مفكرونا مع الأسف من فهم هذه الأفكار في أغلب الأحيان بصورة جيدة بسبب النقص الهائل في نقل أفكارهم نقلا صائبا إلى اللغة العربية، حيث نقلت هذه الرؤى – كما قلنا عن طريق ليس هو الطريق السوي الذي يبعد عن التشويه – اضطرارا ، لعدم إلمام عدد كاف من أبناء اللغة العربية بلغة هؤلاء المفكرين – ما دفع إلى نقل أفكارهم ورؤاهم بصورة فيها الكثير من التشويه كذلك. فرغم انحراف أفكار نيتشه، خاصة في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" إلا أن المترجم اللبناني

فليكس فارس[٦] زادها تشويها، ولكن الأدهى أن يترجم شخص لا يتقن شيئا في الألمانية درة لأديب ألمانيا الكبير يوهان فولفجانج جوته مثل آلام فيرتر ويشرع من بداية النص في نقل الكلام بصورة خاطئة تماما، حتى أنه لا يعرف إن كان المخاطب رجلا أم امرأة في الخطابات التي كتبها جوته نقلا عن البطل، لأن هذا لا يتضح في لغته التي ترجم منها لكنه واضح في الألمانية التي زعم أنه ينقل نصا أدبيا فيها.[٧]

[٦] معروفة تلك الأخطاء التي ارتكبها المترجم فليكس فارس لكتاب نيتشه "هكذا تكلم زرادشت" الذي نشرت ترجمته عام ١٩٣٨ لأنه لم ينقل من الألمانية، ومرت ترجمات نيتشه في مجملها بمصير مشابه لكتابه عن زرادشت حتى إن عمله "العلم السار" أو العلم المبهج ترجم إلى العربية بعنوان "العلم الجذل" على يد سعاد حرب التي نقلته من الفرنسية ونشر عام ٢٠٠١ في بيروت وكتابه "عدو المسيح" الذي ترجمه جورج ميخائيل ديب من الإسبانية . انظر الطبعة الثانية للكتاب بدون تاريخ أو بيانات نشر– تعرضت كلها لتشويه هائل كذلك.

[٧] انظر "آلام فيرتر" لجوته ترجمة فؤاد فريد. منشورات المكتبة الحديثة – بيروت، ودار الشرق العربي – بيروت، بدون تاريخ نشر، حيث يبدأ النص بتوجيه صيغة الخطاب إلى امرأة رغم أن المخاطب رجل. انظر ص ٥ وما بعدها. وانظر أيضا ترجمة أحمد حسن الزيات لنفس العمل ولكن تحت عنوان "آلام فارتر للفيلسوف الألماني جيته" . دار القلم ، بيروت بدون عام نشر، وبمقدمة للدكتور طه حسين التي يقول فيها في ص ١٦، و١٧: "فإذا لاحظنا أن الأستاذ الزيات استطاع من هذا كله أن يخرج لنا منه صورة صحيحة رائعة، عرفنا مقدار ما عانى في سبيل ذلك من مشقة وما كابد من صعوبة. ولكنني أخشى إذا أطلت مدح صديقي وقدمت إليه من الشكر والثناء ما هو خليق به أن أسيء إليه أو أن أؤذيه، فقد عودني وعودته أن نتقارض النقد لا أن نتقارض الثناء"، وهذا حكم غير صحيح علميا لأن كل ما قاله الدكتور طه حسين في الهامش أن الزيات "ترجم عن طبعة فلامريون وترجمة "سلبنج" و"بيتوب" وقوبل على ترجمتين أخريين" – يعني من الفرنسية، كل ذلك لا يضمن صحة الترجمة لأننا نتعامل هنا مع عمل أدبي خالص نقل إلى العربية عبر لغة ليست هي التي كتب بها، وهو أمر يصعب تصور الإتقان الأدبي فيه، فلم ينقل المترجم لهذا الكتاب الأصل من لغته الأولى وإنما نقله عن الفرنسية، حتى إن عنوان الكتاب لا يراعي صحة الأسماء الألمانية التي نقلت فكتب اسم البطل "فيرتر" في عنوان الرواية وفقا للترجمة العربية "آلام فارتر" لا أدري لماذا، فقد يكون تأثيرا فرنسيا لنطق الكلمة بالفرنسية أو لأي سبب آخر، لكن المؤكد أن المترجم لم يسمعه حتى من أحد الفرنسيين المهتمين بالثقافة الألمانية لينقله صحيحا إلى العربية، ولكن الاسم ترجم بعيدا تماما عن النسق الصوتي الذي يدرسه مبتدئ في الالمانية، وربما يعذر هذا الجيل من المترجمين لأنه لم يكن هنالك من المترجمين عن الألمانية من يقوم بالدور، والآن تغير الوضع فلابد أن يتغير من يقوم بهذا الدور بحيث لا ينقل إلا من يتقن اللغة الأولى لأن هذا هو الأليق بترجمة الأدب. الأمر ينسحب على ترجمات كثيرة لفلاسفة وأدباء نقل جل إنتاجهم عن لغة وسيطة وليس عن الألمانية مباشرة ومنهم فلاسفة مثل إمام الظاهراتية إدموند هوسيرل وفيتجنشتاين وكارل بوبر وكانط وهيجل وهايدجر وهابرماس وأدباء مثل ألفريد دوبلين وبرتولت بريخت وفرانس كافكا، وجونتر جراس وتوماس مان وشيلر وهيرمان هيسه وكريستا فولف، وغيرهم كثيرون. ويطول المقام إذا تناولنا كلا على حده، فما ذكر من النماذج فيه الكفاية.

خامسا: نتائج وتوصيات:

نستخلص مما سبق أن الترجمة من الألمانية إلى العربية عانت وما تزال من عقبات كؤود لا يخفف منها طفرة حدثت في العقود الأخيرة ، وهي عقبات تعوق سير هذه الترجمات سيرا سلسا وميسرا، وترجع هذه العقبات في مجملها إلى عاملين رئيسيين، أولهما استخدام اللغة الوسيطة بين الألمانية والعربية. وثانيهما سبب في الأول وهو عدم توافر العدد الكافي من المترجمين المتقنين للألمانية، ومن ثم يمكن أن نقترح ما يلي:

- يجب أن نسعى إلى تدريب مترجمين من الشباب القادر على النقل بدقة من الألمانية إلى العربية، والعكس إن أمكن، وإلا فالنقل الدقيق من الألمانية في حد ذاته يعتبر هدفا ثقافيا له وجاهته الكبيرة وضرورته الملحة إذا شئنا أن نسير في ركب الشعوب المثقفة والمتحضرة التي أتاحت لها عمليات الترجمة المكثفة قدرا وافرا من المعارف والعلوم المطلوبة. وتوافر كم معتبر من المراجع في لغاتها الأصلية خدمة للعلم والعلماء، وتكريسا للتعارف بين البشر– وهو أمر تقوم به الترجمة اليوم بدور هائل ونصيب غير منكور، خاصة بعد أن أصبح التواصل بين البشر في ظل العولمة بهذه الكيفية المذهلة زادا يوميا بل لحظيا، وصار نقل المعلومات يحسب بجزء من الثانية في دنيا الناس اليوم.
- لا مانع من حفز التخصص في أنماط ترجمة بعينها لكل فريق، بحيث يتخصص فريق في الترجمة العلمية (وحتى هذه يمكن أن تقسم لأنواع العلوم المختلفة المنقولة دعما للدقة والنقل السريع)، وآخر في الترجمة الأدبية (وبأنواعها المختلفة أيضا) وغير ذلك في مجالات الاجتماع والفلسفة والقانون، وفي الترجمة الفكرية والعلوم الإنسانية وهكذا بحيث نختصر الطريق ونذهب بالنصوص إلى مترجمين يتقنون نقلها ، فهي وإن كانت محصورة في النوع إلا أنها ستكون أكثر إتقانا، هذا إلى أن يتوافر المترجمون الأقدر على الخوض في أكثر من مجال بإتقان واقتدار، ولكن يمكن مؤقتا

العمل على تخصيص جهات، بل مؤسسات وفرق عمل، للترجمة في نطاق محدد من أفرع العلوم ذات الاختصاص، ويجب الإنفاق السخي أو على الأقل – الإنفاق المعقول – على هؤلاء المترجمين حتى نجذب الخريجين إلى هذا العمل الضروري ثقافيا وحضاريا وأن يمثل ذلك أولوية قصوى على المستوى الوطني والقومي وتحفز إليه طاقات الإبداع والتجويد.

- ينبغي أن تضطلع جامعة الأزهر ومؤسسات الأزهر المختلفة كمجمع البحث الإسلامية ودار الإفتاء ومشيخة الأزهر بأذرعها المختلفة بمهمة تبني التدريب اللازم للمترجمين ليصيروا متمكنين من أداء مهامهم في تخصصاتهم المختلفة بمجال الترجمة ليؤدوا دورهم بإتقان ويندمجوا في مهمة الأزهر الكبرى وهي البلاغ عن الله بصورة مباشرة أو غير مباشرة على أكمل وجه ممكن.
- لابد من إعداد أرشيف أو بنك معلومات بالترجمات التي صدرت في صورة مقبولة وإعلان ذلك بصورة ملائمة حتى لا يعاد ترجمتها وتنصرف الجهودإلى ما لم يتم ترجمته، فالواجبات أكثر من الأوقات كما هو معلوم، فيجب العمل والتيسير ما أمكن على من يعمل ، وليتعاون الجميع في ذلك. أما النصوص المهمة التي لم تترجم بصورة مرضية لغويا أو أسلوبيا أو من حيث المحتوى فيجب إعادة ترجمتها مرة أخرى والاهتمام بإخراجها بصورة جيدة وتوثيق مضامينها، فكثيرا ما يحدث أن تترجم أعمال إلى القارئ الأوروبي وهي خالية من أي توثيق بحيث تأتي شهادات يقال عنها إنها تدل على مدح فلان لدين الإسلام أو رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم دون أن يوثق أين قيل هذا وكيف يصدقه الأوروبي وهو لم يعرف أين مصدره، ومتى قاله صاحبه. وأحيانا يستخدم الدعاة على المنابر هذه المعلومات عاطفة منهم دون توثيق يذكر، والإسلام غني عن ترويج الادعاءات فمن ينتمي إلى الإسلام هو حائز الشرف ولا يرفع انتماء كائن من كان إلى الإسلام من مقامه فهو دين الله العالي المقام والذي

يرتفع به كل أحد، ولا يرتفع هو بأحد أيا كان. رغم حرصنا على أن لا يبخس الناس مقامهم ولا مكانتهم، لكن دين الله غني عن مدح هذا أو ذاك، فإن قيل ذلك فلا أقل من أن يذكر مصدره.

- لابد من إيجاد وسائل دعم وتشجيع للمترجمين المتميزين حتى ينصرفوا إلى هذا الدور المهم والضروري للأمة ولابد من اضطلاع المسلمين المتمكنين من الترجمة بأدوارهم الضرورية والعمل الدؤوب من أجل نقل رسالة الإسلام ناصعة صحيحة إلى البشر أجمعين للقيام بحق البلاغ عن الله ورسوله ولنكن رسل محبة ورحمة ولسان حق في دنيا اليوم كما كانت رسالة الله أبدا "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" ، فلتكن الترجمة لسنا للحق في دنيا أثر فيها الباطل على كثرة من أجيالها فشربته شربا حتى أشبعوا منه رضاعا.